الدرعية في وثائق الأرشيف والمراجع العثمانية

دراسة وثائقية

الدكتور:
سهيل صابان*

* بكالوريوس أصول الدين من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ.
- ماجستير من قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالجامعة نفسها، ١٤٠٩هـ.
- دكتوراة من قسم الثقافة الإسلامية، ١٤١٥هـ.
- يعمل الآن أستاذاً مشاركاً بقسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الملك سعود.

أولى الإشارات إلى الدرعية في وثائق الأرشيف العثماني:

تأتي أهمية الدرعية التاريخية، ليس لأنها شهدت الاتفاق الذي أبرم بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا إلى دورها المحوري باعتبارها عاصمة لدولة انتشرت في زمن وجيز في سائر أنحاء الجزيرة العربية وتعدتها(1)؛ بل لأنها أصبحت تمثل كياناً دينياً وسياسياً مختلفاً عن الكيانات الموجودة في المنطقة في تلك الحقبة التاريخية، وصارت مقصداً يفد إليها الناس، وتوسعت حدودها وعمرانها بعد أن كانت قرية في وسط بلاد صحراوية، لا تتميز بشيء

(1) أرسل والي بغداد الوزير سليمان باشا خطاباً إلى الباب العالي (في ١٠ ذي القعدة ١٢١٦هـ/ ١٤ مارس ١٨٠٢م) ذكر فيه أن السعوديين: لم يكتفوا بالأماكن التي وقعت تحت قبضة أيديهم، بل قاموا هذه المرة بوضع الحصار على جوانب البصرة الأربعة، وبادروا بالتضييق عليها، ومن خلال فكرهم فقد تمكنوا من إتباع رأس الخيمة والجواسم [القواسم] وكافة أهالي القرين وبني عتبة ومعظم بنادر العرب والعجم لطرفهم، مما مكنهم أيضاً من إبراز القوة في الجانب البحري أيضاً. ومن خلال الجموع الموجودة على رؤوسهم واستمالة التبعة، فقد توجهوا براً إلى البنادر المذكورة، واستولوا عليها..إلخ الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.3765

يجذب إليها الناس[1]. ولم يظهر للدرعية شأن كبير في مدوّنات التاريخ الحديث إلا بعد أن انتشر نفوذها على الأقاليم والبلدان القريبة منها والبعيدة. فإذا كان هذا أمر المؤلفات التاريخية العربية فكيف يكون للدرعية ذكر، بل وحتى صيت في الوثائق العثمانية؟

إن اسم الدرعية لم يذكر في الوثائق العثمانية قبل أن تصبح حاضرة لذلك الكيان إلا لماماً. فقد وردت إشارة عابرة إليها في إحدى الوثائق العثمانية وبشكل مصحّف، عندما أرسلت حكومة إستانبول رسالة إلى أمير أمراء الأحساء رداً على خطاب الأمير السابق عثمان[2] في (٢٨ رجب ٩٨١هـ/٢٢ نوفمبر ١٥٧٣م)، ضمن الحديث عن شيوخ ولاية نجد، الذين وفروا الأمن لعبور قافلة الحج القادمة من الأحساء في العام الذي مضى على التاريخ المذكور. ومن هؤلاء الشيوخ شيخ

(١) حول هذا الموضوع انظر : **مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى**/ عبد الله بن محمد المطوع .- الرياض: **الجمعية التاريخية السعودية**، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. (الإصدار الرابع عشر)، ص١٣-١٥.

(٢) هو عثمان بن أوزدمير باشا. تولى أبوه إمارة اليمن، ثم وجه إلى الساحل الغربي جنوب البحر الأحمر؛ حيث أسس إمارة الحبشة العثمانية. وبعد وفاته خلفه ابنه عثمان الذي كان يصاحبه في تنقلاته، وكان أحد قادته العسكريين. ومن ثم عين المترجم له والياً على اليمن. ثم وجهت إليه إمارة الأحساء في سنة (٩٨٠هـ/١٥٧٢م)، خلفاً لعلي باشا. ثم نقل إلى أيالة البصرة في (٦ صفر ٩٨١هـ/٦ يونيو ١٥٧٢م)، بسبب تعيين والي البصرة علي باشا والياً على بغداد، نظراً لوفاة الوالي. لكن تأخرت مباشرة عثمان باشا لأيالة البصرة؛ بسبب عدم استقرار الأوضاع في الخليج العربي، إثر ازدياد النشاط العدائي للبرتغاليين فيه. واستمر في عمله في الأحساء حتى (٢٨ رجب ٩٨١هـ/٢٢ نوفمبر ١٦٧٢م). وبعد انتقاله لولايات عدة وجه إليه منصب الصدارة العظمى. **العثمانيون وشرق شبه الجزيرة العربية: أيالة الأحسا** (٩٥٤-١٠٨٢هـ/١٥٤٧-١٦٧١م)/عبد الكريم بن عبد الله المنيف الوهبي.- الرياض: (د.ن)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٢٢٩-٢٣٠.

القلعة التي تسمى دراغية [الدرعية] إبراهيم ابن موسى[1]، جد الأسرة السعودية الحاكمة؛ حيث شكرتهم الحكومة على ذلك[2].

الدرعية في فهارس الأرشيف العثماني

وللوصول إلى الوثائق الخاصة بالدرعية في الأرشيف العثماني، استخدم إملاءان للاسم باللغة التركية بحسب الفهرس العام لهذا الأرشيف Deriye و Deriyye :

فبحسب الإملاء الأول يوجد ثلاثة وعشرون قيداً. أقدمها تبدأ من (١٣ ربيع الأول ١٢١٣هـ/٢٥ أغسطس ١٧٩٨م)، وفحواها: عدم إمكانية إجراء الصلح بين الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩-١٢١٨هـ/١٧٦٥-١٨٠٧م)؛ بسبب قوته الكبيرة، وبين الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢-١٢٢٨هـ/١٧٨٨-١٨١٣م) أمير مكة المكرمة، وعدم إمكانية التوجه إلى الدرعية[3]. وأحدثها في (٢٩ ذي الحجة ١٢٣٩هـ/٢٥ أغسطس ١٨٢٤م): عدم موافقة الباب العالي على توجه والي بغداد إلى الدرعية؛ لمتابعة آل سعود[4].

وبحسب الإملاء الثاني يوجد ثلاثة عشر قيداً، يبدأ أقدمها في (٧ ربيع الآخر ١٢١٨هـ/٢٧ يوليو ١٨٠٣م)، وفحوى هذه الوثيقة: إن لم يتم القيام بهجوم على الدرعية

---

(١) حول ذرية إبراهيم بن موسى انظر: **الجداول الأسرية لسلالات العائلة المالكة السعودية**/عبد الرحمن بن سليمان الرويشد.- الرياض: (د.ن)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ص ١١.

(٢) **الأرشيف العثماني**، تصنيف MUHIMME DEFT. No.23. Sy. 163 هذه الوثيقة سبق أن نشرها الباحث راشد بن محمد العساكر. **مجلة الدرعية**، ع: ٢٤-٢٥، س٦-٧ (ذو الحجة ١٤٢٤هـ/ربيع الأول ١٤٢٥هـ/فبراير - مايو ٢٠٠٤م. وأعاد نشره في كتابه: قوافل الحج المارة بالعارض من خلال وثيقة عثمانية أشارت إلى جد الأسرة السعودية وشيخ الدرعية سنة ٩٨١هـ/١٥٧٣م.- الرياض: درة التاج للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٥٢-٥٣.

(٣) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT.95/3841

(٤) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT.278/16374

فإنها سوف تتمكن من سائر الممالك. وقد سردت الوثيقة الحاجة إلى ستين ألف ناقة[١] ومصروفات كبيرة للقيام بهذا الأمر؛ بسبب بُعد المسافة وكونها واقعة في داخل بلاد صحراوية[٢]. وأحدثها في (١٣ رمضان ١٢٣٦هـ/١٤ يونيو ١٨٢١م)، وفحواها: قيام سرجشمه[٣] حسين بك بالتوجه إلى نجد والدرعية، وأسره لبعض من أفراد الأسرة السعودية وأتباعهم، وعدم تمكنه من القبض على الأمير تركي آل سعود[٤].

وهذا لا يعني بطبيعة الحال عدم ورود اسم الدرعية وأحداثها في طي الوثائق الأخرى التي تتحدث ابتداءً عن نجد وبلدانها وحكامها؛ إذ إن كل تلك الوثائق مرتبطة بالدرعية ارتباطاً وثيقاً، حتى لو لم يذكر اسمها. من ذلك: الإشارة الأولى إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبلدة العيينة التي انطلق منها في دعوته تلك، وأمرُ الباب العالي[٥] إلى أمير مكة المكرمة الشريف مسعود بالتوجه إلى مقر الشيخ والعمل على إنهاء وجوده في (أواسط شوال ١١٦٤هـ/أوائل سبتمبر ١٧٥١م)[٦]. كما أنه يصعب العثور على وثيقة تتحدث عن أحد من آل سعود، ولا يكون اسم الدرعية أو نجد مذكوراً

(١) فقد تحدثت الوثيقة عن ضرورة توفير ستين ألف رأس من الإبل مع الحاجيات الأخرى؛ للقيام بالحملة على الدرعية؛ نظراً لوقوعها في وسط بلاد صحراوية، لا يمكن التوجه إليها إلا بتوفير عدد كبير من الإبل في خدمة الجيش. **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 224/12516-B وتاريخ الوثيقة (٧ ربيع الآخر ١٢١٨هـ/٢٧ تموز ١٨٠٣م).

(٢) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT.224/12516

(٣) المعنى اللغوي للكلمة التي تتكون من كلمتين مركبتين، الأولى: سر وتعني الرأس، والثانية: جشمة وتعني السبيل، أو نبع الماء. والمعنى الاصطلاحي للكلمة: المسؤول المالي الذي ينظر في شؤون العساكر المتعاونين، أي غير النظاميين.

(٤) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT.865/38565

(٥) صدر أمر الباب العالي على التوجه بالحملة على الدرعية بناءً على ما صوره أمير مكة المكرمة عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته في خطابه إلى إستانبول. والوصف العام المفرط الذي وصف به إياه. **الأرشيف العثماني**، تصنيف C.DH.135/6716

(٦) **الأرشيف العثماني**، تصنيف C.DH.135/6716

لأولئك. فقد ذكر أن الموضوع لا يتجاوز صراعاً على النفوذ في المنطقة، وأسدى بعض النصائح إلى أمير مكة المكرمة؛ لتحسين العلاقات مع شيخ الدرعية: عبد العزيز بن محمد بن سعود[١].

وعلى الرغم من أن موقف ولاية بغداد متمثلاً في الوالي سليمان باشا، كان متوافقاً إلى حد كبير مع رأي شريف مكة في ضرورة القيام بهجوم على الدرعية، وتقويضها من الجهات الأربع[٢]، إلا أنه يبدو واضحاً من الوثائق المرسلة من المنطقة في تلك الفترة[٣] أن الباب العالي تأثر برأي والي الحجاز يوسف باشا[٤] - وكان ذلك موقف والي الشام أيضاً في تلك الفترة -، الذي لم يكتف بنظرته الإيجابية إلى حاكم الدرعية فحسب؛ بل أرسل مندوب شيخ الدرعية الذي وفد إليه في المدينة المنورة إلى إستانبول؛ ليلقى هذا المندوب حسن الاستقبال والحفاوة والتكريم[٥].

لكن تمكُّن القوات السعودية من ضم الحجاز إلى حكمهم فيما بعد، غيّر موقف الدولة العثمانية من الدرعية التي باتت مركزاً سياسياً، يفد إليها مندوبوها وقوادها من الأطراف؛ لأخذ المشورة ونقل الأخبار إليها أولاً بأول، والتخطيط لبناء الدولة.

---

(١) بحسب الخطاب الذي بعثه في (١١ شوال ١٢١٢هـ/٢٩ مارس ١٧٩٨م) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 12324

(٢) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 3765

(٣) وانظر كذلك موقف والي الشام من الدرعية: وثيقتان عثمانيتان حول الاتصالات بين الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود والسلطان العثماني سليم الثالث.- **الدارة** - ع٢، س ٣٢ (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص١٩٣-٢٠٦.

(٤) يوسف باشا : عين والياً على الحجاز، ولم يستطع التوجه إلى جدة، فاضطر إلى الإقامة في المدينة المنورة، بسبب قوة نفوذ الإمام عبد العزيز بن سعود عام (١٢١٤هـ/١٧٩٩م). ويبدو أنه توفي في هذا العام. وقد عمل قبل ذلك صدراً أعظم للدولة العثمانية. **مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني/سهيل صابان**.- الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٣١-٢٣٢.

(٥) وثيقتان عثمانيتان حول الاتصالات بين الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود والسلطان العثماني سليم الثالث.- **الدارة** - ع٢، س ٣٢ (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٩٣-٢٠٦.

كما أفاد بذلك جودت باشا[1] عندما أشار إلى عودة سالم بن شكبان[2] بعد تمكنه مع

(١) أحمد جودت باشا ابن الحاج إسماعيل آغا (١٢٣٨-١٣٢١هـ/١٨٢٣-١٨٩٥م). فتتلمذ على أشهر العلماء في تلك الفترة لتلقي العلوم الشرعية، وقد وسع من ثقافته الأدبية والشعرية من خلال المداومة على الندوات الأدبية، ولقد بذل جودت باشا في مرحلة تلقي العلم جهوداً علمية متميزة، اتسمت بطابع من التركيز والتفاني، وكان الأساس الذي اعتمد عليه فيما بعد في علومه ومعارفه، وفي إسهاماته التاريخية واللغوية، وفي تأثيره على المؤرخين ممن أتوا بعده، سواء في تحليل الأحداث التاريخية أو في تعليلها الاجتماعي. وبسبب حرصه الشديد على القراءة والمطالعة، فإنه كان يستغل يوم العطلة أيضاً، فيقرأ الكتب، ويستزيد من المعلومات. حتى وصل إلى درجة إتقان اللغة العربية والفارسية قراءة وكتابة، واللغة الفرنسية والبلغارية إلماماً عاماً، إضافة إلى إلمامه الواسع بالعلوم الشرعية. التحق جودت باشا بالسلك الوظيفي (يناير ١٨٤٤م) قاضياً لقضاء بِرَمَدي -preme di التابعة لروم إيلي، وانتدب إلى بخارست الرومانية لإبلاغ فؤاد باشا بتعليمات الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا (٢٩ حزيران ١٨٤٥م). وعين عضواً في مجلس المعارف العمومية ومديراً لدار المعلمين (١٨٥٠م)، وكُلف رسمياً (أكتوبر ١٨٥٣م) بكتابة التاريخ العثماني للفترة الواقعة بين ١٧٧٤-١٨٢٦م، وكتب ثلاثة مجلدات من تاريخه - الذي عرف باسمه فيما بعد - وقدمه للسلطان عبد المجيد، فمُنح رتبة «المُوَصَّلة إلى السليمانية». وعين مؤرخاً رسمياً (وَقْعَهء نُويسْ) للدولة العثمانية (فبراير ١٨٥٥م) واستمر في هذه الوظيفة حتى عام ١٨٦٥م. ثم عين والياً لولاية حلب، التي عمل فيها مدة سنتين. وعين رئيساً لديوان الأحكام العدلية (١٨٦٨م) التي تحولت بعد فترة إلى نظارة (وزارة)، فأصبح وزيراً لها. يعد جودت باشا من أبرز شخصيات عهد التنظيمات، ومن أميز العلماء العثمانيين لتلك الفترة. وإلى جانب كونه رجلاً من رجالات الدولة، فقد كان مؤرخاً، ومفكراً، وأديباً، ومربياً، وعالم اجتماع. وكان يرى أن الإنسان مدني بالطبع، وأن الانتقال إلى المدنية أدى إلى تفاوت الدرجات بين المجتمعات، وأن المدنية هي المرحلة الثالثة والأخيرة للمجتمع الإنساني بعد مرحلة البداوة والإقامة. والشرط الأساس للوصول إلى تلك المرحلة توصل الإنسان إلى الكمال، الذي لا يمكن إلا بالتربية والتعليم. له ستة عشر كتاباً. هي: التذاكر، المعروضات، قصص الأنبياء وتواريخ الخلفاء، تاريخ القرم والقوقاز، مقدمة ابن خلدون، البلاغة العثمانية، قواعد اللغة العثمانية، تتمة شرح ديوان صائب، معيار السداد، آداب السداد في علم الآداب، بيان العنوان، تقويم الأدوار، مجموعة أحمد جودت، خلاصة البيان في تأليف القرآن، المجموعة العالية، إضافة إلى تاريخه المشهور الذي يقع في ستة مجلدات (اثني عشر جزءاً). **تاريخ جودت/أحمد جودت** باشا؛ تعريب عبد القادر أفندي الدنا؛ تحقيق عبد اللطيف بن محمد الحميد -. ط٢ -. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ص ١٣ وما بعدها. **تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية**/سهيل صابان-. فيرجينيا: معهد الفكر الإسلامي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٢٨-٢٩.

(٢) هو سالم بن محمد شكبان الرمثين من قبيلة شهران من أهل بيشة. عينه الإمام عبد العزيز بن محمد بن

عثمان المضايفي[١] من ضم الطائف إلى الدولة[٢].

وبناءً على ذلك فقد أرسل الباب العالي أوامره، الواحدة تلوى الأخرى إلى الولايات المجاورة للحجاز[٣]، يطلب منها إعداد العدة والتأهب للهجوم على الدرعية. فلم تستطع تلك الولايات إحراز أي نجاح في الموضوع[٤]. وكان الوالي العثماني الجديد على مصر محمد علي باشا، بحاجة إلى إبراز شخصيته وإمكاناته للباب العالي، فأوكل إليه أمر الدرعية. وبعد سنوات كثيرة جرت فيها حروب كثيرة بين الطرفين، تمكن ابنه إبراهيم

سعود أميراً على بيشة بعد ضمها إلى حكمه عام (١٢١٣هـ/١٧٩٨م) واستمر فيها إلى أن توفي في (آخر شهر ذي الحجة ١٢٣٩هـ) وذلك بعد أن قفل راجعاً من مكة إلى بيشة وتولى مكانه ابنه فهاد بن سالم. **عنوان المجد في تاريخ نجد**/عثمان بن عبد الله بن بشر؛ تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله آل شيخ-ط٤٠- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م: ١/ ٢٥١، ٢٥٩، ٢٨٦.

(١) عثمان بن عبد الرحمن المضايفي (ت: ١٢٢٨هـ/١٨١٣هـ). قائد من أمراء المقاطعات. كان من خاصة الشريف غالب بن مساعد صاحب مكة، بمنزلة الوزير. واختلف معه، فرحل إلى نجد، وبايع الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، وأقام في قرية «العبيلا» بين تربة والطائف. فهاجمه الشريف غالب، فلم يظفر به وعاد. فحشد المضايفي جمعاً من أهل بيشة ورنية، وأغار على الطائف، وفيها الشريف غالب. فدخلها وانهزم الشريف إلى مكة. وكتب المضايفي بذلك إلى عبد العزيز. فولاه إمارة الطائف وما حولها من الحجاز سنة (١٢١٧هـ/١٨٠٢م). وتولى قيادة بعض الجيوش السعودية في حروبهم مع الشريف حمود بن محمد، بتهامة اليمن سنة (١٢٢٥هـ/١٨١٠م). فظفر. ثم لما استولى الجيش الزاحف بقيادة أحمد طوسون باشا بن محمد علي باشا على الحجاز، ودخلوا مكة والطائف بغير قتال، جمع المضايفي بعضاً من قبائل «عدوان» ودخل بهم الطائف، فهاجمه الشريف غالب بن مساعد، فانهزم المضايفي، وأسره بعض رجال «عتيبة»، فسجنه غالب، ثم أرسل إلى مصر ومنها إلى إستانبول، حيث قتل فيها مع مسعود بن مضيان. **الأعلام**/خير الدين الزركلي-ط٧-بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م. . مج٤، ص١٠٨.

(٢) لقد أورد أحمد جودت باشا أحداث تلك الفترة وكيفية ضم الحجاز إلى الدولة السعودية، ضمن وقائع عام (١٢١٧-١٢١٨هـ). **تاريخ جودت**. مج٧، ص ١٨٢-٢١٤.

(٣) وهي ولايات: الشام وبغداد ومصر.

(٤) Izahli Osmanli Tarihi/Heyet.Istanbul: Gun yay.1962:5/2869-2876.

باشا من الاستيلاء عليها. ووصول نبأ فتح الدرعية إلى إستانبول كان قد أدى إلى ورود اسم الدرعية في الكثير من المراسلات الحكومية الرسمية في تلك الفترة[١].

وأورد المؤرخ الرسمي للدولة العثمانية أحمد جودت باشا معلومات عن هذا الموضوع ضمن أحداث عام (١٢٣٤هـ/١٨١٨م)، وأرخ لذلك بقوله: وصل نبأ فتح الدرعية إلى إستانبول في الثاني والعشرين من المحرم من عام ألف ومئتين وأربعة وثلاثين [للهجرة/٢١ نوفمبر ١٨١٨م]، حيث جرت مظاهر الفرح فيها لمدة ثلاثة أيام. أطلقت في كل يوم منها ثلاث مرات مدافع وأعيرة نارية في القلاع والأبراج المجاورة لإستانبول[٢].

وينتهي في هذا التاريخ دور الدرعية التاريخي، حيث ينتقل ذلك الدور إلى الرياض. وقد أشار إلى ذلك جودت باشا بقوله: والحقيقة أن إبراهيم باشا لما رجع من الدرعية، عاد إليها مشاري بن مسعود [سعود] وابن أخيه تركي ابن عبد الله، وابن أخيه عمر بن عبد العزيز. ورجع إليها الأهالي الآخرون فعملوا على إعمار البلدة. وبناءً على ذلك فإن حسين بك الذي أرسل مع فرقة من العساكر وصل إلى الدرعية. فأخذ مشاري وقبض عليه وأرسله إلى مصر. فمات في أثناء الطريق. أما غيره فكانوا قد فروا وتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة لدى المتقدمين بحجر اليمامة، والتي تبعد عن الدرعية مسافة أربع ساعات[٣].

وصف الدرعية في الوثائق والمراجع العثمانية:

يأتي ذكر الدرعية ووصفها في بعض وثائق الأرشيف العثماني ضمن الحديث عن الاستعدادات التي أجرتها الإدارات المحلية التابعة للدولة العثمانية في المنطقة ضد

---

(١) للتفصيل في ذلك انظر: **رياض الكتبا وحياض الأدباء**/حيرت أفندي- القاهرة: (د.ن): ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م. (مختلف الصفحات).

(٢) **تاريخ جودت**. مج١١، ص ١٣-١٤.

(٣) المرجع السابق مج١١، ص ١٩٠-١٩١.

الدرعية. وتصفها الوثائق بأنها مقر الحكومة السعودية[1]. كما تصف رئيس هذه الحكومة بحاكم الدرعية[2]. وتحدد المسافة بينها وبين أقرب تلك الإدارات العثمانية إليها وهي الأحساء. حيث قدرت الوثيقة المسافة بين الأحساء والدرعية، بعشرين مرحلة[3]، مشيرة إلى أنها صحراوية خالية من الماء والكلأ. وأكدت أنه يمكن الوصول إلى الماء في كل أربع أوخمس مراحل[4]. ولهذا فقد استصعبت أمر التوجه إلى الدرعية بالعساكر والمهمات العسكرية[5]. وعلى الغرار ذاته حددت إحدى الوثائق المسافة من البصرة وحتى الدرعية بأربعين إلى خمسين مرحلة. كما أفادت وثيقة أخرى المسافة بين الدرعية وبين الرس

(١) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 3838, 3841 وتاريخها بموجب وثائق الأرشيف العثماني: ٤ صفر ١٢١٣هـ/١٧ يوليو ١٧٩٨م.

(٢) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 3799-A وتاريخها بموجب فهارس الأرشيف العثماني في إستانبول هو (١٧ المحرم ١٢١٧هـ/٢٠ مايو ١٨٠٢م). علماً أن هذه الوثيقة باللغة العربية وتضم مناقشة بعض المسائل العقدية، من مثل: هل العمل جزء من الإيمان؟ بناءً على الخطاب الذي بعثه الإمام عبد العزيز ابن محمد بن سعود.

(٣) المرحلة: المسافة التي يقطعها السائر في نحو يوم، أو ما بين المنزلين. **المعجم الوسيط**/إبراهيم أنيس وزملاؤه.- القاهرة: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م: ١/ ٣٣٥ (مادة رحل). وورد في المعجم الوجيز: المسافة التي يقطعها السائر ما بين المنزلين. وجمعه مراحل. **المعجم**/مجمع اللغة العربية.- طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.- القاهرة: وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٤م. ص ٢٥٩ (مادة رحل). والحقيقة أن التعريف الأول مرجوح؛ إذ إن المرحلة بين منزل وآخر تختلف بحسب توافر الماء فيه. فقد تصل المسافة بين منزلين إلى عشر ساعات، وقد تكون أربع ساعات، كما هي المسافة بين منازل طريق الحج كما أورده أوليا جلبي. أوليا جلبي ورحلته إلى الحج أواخر القرن الحادي عشر الهجري/سهيل صابان. **الدارة**. ع٣، س٢٧(١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ٦٢-٩٣.

(٤) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 3831 وهو الخطاب الذي بعثه والي بغداد سليمان باشا إلى الباب العالي. **تاريخه بموجب وثائق الأرشيف العثماني**: ١٢١٧هـ/١٨٠٢م.

(٥) الوثيقة السابقة.



بستة أيام[١]، وبينها وبين عنيزة بمسافة ثمانية أيام[٢] . وبينها وبين شقراء بمسافة أربع مراحل[٣] وبينها وبين سدير بخمس عشرة ساعة[٤].

وتحدث والي مصر محمد علي باشا بخطاب عربي على لسان إمام مسقط سعيد ابن سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي[٥] وإمام اليمن والشريف حمود[٦]، ملخصاً للخطابات التي بعثوها إليه إثر توجه ابنه أحمد طوسون باشا إلى الحجاز، وورد فيه ذكر

---

(١) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19701-D وهو الخطاب الذي كتبه بيده الشيخ طالب بن بدير، ضابط العلا إلى والي الشام سليمان باشا. تاريخها: (١٢٢٩هـ/١٨١٤م).

(٢) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19700

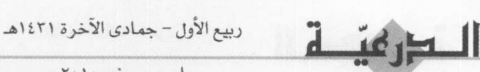
(٣) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19560

(٤) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19538-C

(٥) سعيد بن سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي (١٢٠٦-١٢٧٥هـ/١٧٩١-١٨٥٦م): من أشهر سلاطين عمان وزنجبار في القرن التاسع عشر الميلادي. تولى الحكم بعد وفاة والده عام (١٢١٩هـ/١٨٠٤م). وانتقل إلى زنجبار عام (١٢٢٧هـ/١٨١٢م). **أضواء حول العلاقات السعودية البحرينية خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي** (١٢٥٩-١٢٨٢هـ/١٨٤٣-١٨٦٥م)/نبيل عبد الحي رضوان (د.ت.ن.) نقلاً عن: **دليل أعلام عمان**/إشراف محمد بن الزبير (جامعة السلطان قابوس) بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص ٨٠.

(٦) حمود بن محمد بن أحمد الحسني التهامي (أمير): (١١٧٠-١٢٣٣هـ/١٧٥٦-١٨١٨م). أمير من أشراف تهامة اليمن، ويعرف بأبي مسمار. كانت له ولأسلافه ولاية المخلاف السليماني (من تهامة)، ودعوتهم لأئمة صنعاء. وفي أيامه استولت جيوش الدولة السعودية الأولى على البلاد المجاورة له، فقاتلهم، فهزموه، فانضوى إلى لوائهم، وقام بالدعوة لآل سعود. فاستولى على اللحية والحديدة وزبيد وما يليها. واستقل بولاية أبو عريش وصبيا وضمد والمخلاف السليماني. واختط مدينة «الزهراء»، وبنى قلاعاً وأسواراً. ثم انقلب على آل سعود، ونشبت بينه وبين أنصارهم في اليمن حروب، انتهت باستقراره أميراً على بلاد تهامة مستقلاً. وكان شجاعاً كريماً محباً للعمران، فيه دهاء وحزم. وهو أول من استقل بالمخلاف السليماني عن أئمة صنعاء. توفي في الملاحة (من بلاد بني مالك بالسراة). **الأعلام**/للزركلي. مرجع سابق: ٢/١٨١-١٨٢.






الدرعية، حيث وصفها بقوله: تنفيذ إرادة الدولة السنية لإزالة معالم الدرعية(١).

وتفيد المراسلات الكثيرة التي جرت بين قوات إبراهيم باشا ووالده في مصر من جهة، وبينه وبين الباب العالي من جهة أخرى في تلك الفترة إلى أن الدرعية هي المركز الذي تجري عليه كل العمليات العسكرية في المنطقة؛ حيث تحدد المسافات إليها، وتعين القيادات العسكرية من الأطراف للتوجه إليها، وتحدد التكاليف المالية والمؤن والإبل؛ للتمكن من الوصول إليها، كما تخطط كل الخطط العسكرية في كيفية القضاء على المواقع المحصنة المؤدية إلى الدرعية؛ للوصول إليها. فقد ورد في وثيقة بتوجيه سعادة الشريف منديل، ومحمد - وهو وكيل بلدة تربة -، وسليمان بك - وهو من قواد المشاة - وإرسالهم إلى وادي الدواسر الواقع في الجنوب والمجاور للدرعية والمتعاون معها(٢)؛ بغية إضعاف الدرعية، وتسهيل الوصول إليها. وهذا الذي أكدت عليه وثيقة أخرى حيث أفادت: وحتى يتم منع الإمدادات الآتية من جنوب الدرعية فقد كان يجري تعيين الشريف منديل وغيره من القواد معلومي الأسامي وإرسالهم لهذا الغرض(٣). كما هو الأمر في المعارك التي وقعت في بلدان القصيم: الرس، وبريدة وعنيزة(٤)، والتي عُدّت مفتاحاً من مفاتيح الدرعية. وعدّ إبراهيم باشا المفتاح الثاني الأهم في المنطقة قلعة شقراء الحصينة؛ للوصول إلى الدرعية. ولما كان إبراهيم باشا في القصيم كان كثيراً ما يذكر وادي شقراء وقلعتها، وبعد أن تمكن من الاستيلاء على القصيم، كان يرى أن المشكلة العويصة التي تقف حائلاً بينه وبين الدرعية هي شقراء. وهذا في حقيقة الأمر يدل على أن شقراء كانت مفتاحاً إلى الدرعية؛ فمتى ما تمكن منها، كان بإمكانه الاستيلاء على الدرعية. وكان محقاً في

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT. 3814 وتاريخها: (١٢٢٩هـ/١٨١٤م).

(٢) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT. 40938-A

(٣) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT. 19553

(٤) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT. 19656, 19700

ذلك؛ إذ إن القوات السعودية المتحصنة في شقراء قد استبسلت كثيراً في الدفاع عنها، واتخذت كافة التدابير العسكرية المتاحة في ذلك الوقت: من تحصين القلعة الداخلية والقلعة الخارجية، وحفر الخنادق حولها؛ لمنع تسلل قوات إبراهيم باشا إليها، وتوفير المدافع لها. ولولا وجود المدافع والجيوش الجرارة مع إبراهيم باشا، ما كان لشقراء أن تقع تحت استيلائه، أو أن تستسلم. وبناءً على ذلك فقد كان لشقراء دور محوري وأساس في ذلك الصراع الذي شهدته المنطقة(١). ولما تمكن إبراهيم باشا من شقراء فقد بشر والده في رسائله إلى أن الدرعية سوف تقع قريباً، كما أفاد بذلك أبوه محمد علي باشا إلى الباب العالي(٢).

وصف الدرعية في رسائل إبراهيم باشا:

وفي أثناء الحصار الذي وضعه إبراهيم باشا على الدرعية فقد وصفها في رسائله إلى أبيه بأنها تقع بين جبلين، وأنه يحيط بها ثلاثون إلى أربعين برجاً منصوباً ما بين أشجار النخيل، وحدّد عدد المقاتلين المدافعين عنها بأكثر من ثلاثة آلاف شخص. ثم بعد أن تمكن منها قال: إن عدد الموجودين في الدرعية كان أكثر من خمسة آلاف شخص(٣). وفي رسالة أخرى ذكر مجدداً أن عدد المقاتلين للدفاع عن الدرعية كان ثلاثة آلاف شخص(٤). كما وصف حاكمَ الدرعية بقوله: وأقام لكل من هؤلاء المقاتلين مزارع وأبراجاً في وادي الدرعية، وجعل لهم نصيباً منها. كما أنه سوّر الدرعية ذاتها بسور مستحكم ومتين. وخزن فيها من التموين والمهمات العسكرية الكثير، وإذا اقتضى الأمر صرف منها.

---

(١) **شقراء في وثائق الأرشيف العثماني**. سهيل صابان (بحث قيد النشر). شارك به الباحث في لقاء الجمعية التاريخية السعودية الثالث عشر، الذي عقد في الرياض في الفترة من ٢٨-٣٠ ديسمبر ٢٠١٠م.

(٢) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19538 وتاريخ الوثيقة (الأول من ربيع الآخر ١٢٣٣هـ/٨ فبراير ١٨١٨م.

(٣) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19557

(٤) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19604 وتاريخ الوثيقة: (١٩ شعبان ١٢٣٣هـ/٢٣ حزيران ١٨١٨م).

وبناءً على ذلك فقد أولى اهتمامه وقوته بالدرعية والأبراج الملحقة بها. ونظراً لكون الدرعية وادياً مقسوماً إلى حيين متقابلين[1]، فإن القسم الواقع في الجهة الغربية [أي الطريف] مخصوص لإقامة عبد الله مع أتباعه، أما القسم الشرقي منها [أي البجيري] فللمرابطين معه من طائفته وكافة أهله. وبموجب القاعدة المتبعة لديه فإنه قد أخذ من أهالي الدرعية العهود والمواثيق الأكيدة على الاتفاق والاتحاد[2].

كما تحدث إبراهيم باشا عن المتاريس في الدرعية قبل القيام بالهجوم عليها، حيث ذكر في رسالة إلى والده في (٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/الأول من إبريل ١٨١٨م) أن عبد الله بن سعود وضع ثماني إلى عشر قطع من المدافع في متاريسهم. وتلك المتاريس تقع خارج الدرعية في مسافة نصف ساعة[3]. كما أشار إلى أن تلك المتاريس وضعت في الجهة الشمالية من الدرعية، وأنها كانت قريبة من الأبراج، الواقعة بين أشجار النخيل[4].

ويوحي بشكل واضح ما بين سطور خطابات إبراهيم باشا إلى والده أن استعدادات الدرعية لمقابلته كانت على أعلى درجاتها، ما أدى به إلى الكتابة إلى والده يقول فيه: ومما يجدر ذكره أن معارك الدرعية أصعب من غيرها من المعارك وأكثرها عسراً[5]. بل ذكر في خطاب آخر: إن الذي دفعه للهجوم على الدرعية - بعد ذلك الحصار الطويل الذي وضعه عليها - أن المتحصنين فيها كانوا يريدون الهجوم على جيشه، وأنه لذلك

(١) لم تتحدث الوثيقة عن اسم الحيين المقابلين. ولكن بالرجوع إلى كتاب متخصص، تبين أنهما حيا: المليبيد وغصيبة. فالأول يقع في مصب وادي صفار في وادي حنيفة، وذلك في أسفل الدرعية من ناحية الجنوب باتجاه عرقة. أما غصيبة فتقع في أعلى الوادي على بعد ثلاثة أكيال شمالاً من المليبيد. وتتميز بموقعها الحصين على رأس جبل فيما يشبه رأس مثلث. **مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى**. مرجع سابق. ص ٣٧، ٤١. وقد علق الدكتور عبداللطيف الحميد أن المقصود بالحيين المتقابلين الغربي (الطريف)، والشرقي (البجيري)؛ فاثبتناها في المتن.

(٢) الوثيقة السابقة.

(٣) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19557

(٤) الوثيقة السابقة.

(٥) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19557 وتاريخ الوثيقة: (٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/ ١ إبريل ١٨١٨م).

اختار طريق «الحرب خدعة»، فأخلى مقر الجيش من العساكر، فلما هاجم أولئك على الخيام، قام العساكر المحيطون بالأطراف بالحملة عليهم، فقتلوا أكثرهم، واضطرت البقية الباقية إلى العودة إلى منازلهم[١].

كما تحدث والي بغداد مراد علي باشا في خطاب له إلى الباب العالي (في ٢٩ ذي القعدة ١٢١٩هـ/الأول من مارس ١٨٠٥م) عن قيام الإمام سعود بن عبد العزيز بتقوية قلعة الدرعية وأشار إلى جهوده في ذلك. حيث قال: فقام بتحصين قلعة الدرعية التي اتخذها مسكناً له واستحكمها. وكانت نجد خلال السنتين الماضيتين محرومة من المطر. وكانت مشرفة على الخراب والزوال، منكوبة، معرضة للقحط والخراب. وعلى الرغم من ذلك فإنهم [أي الأهالي] قد بادروا إلى ما يستطيعون جمعه من القوت الذي لا يموت[٢].

ووصف محمد بن إبراهيم العبد الرزاق[٣] الدرعيةَ في رسالة له في (٢٣ ذي الحجة ١٢٣٣هـ/ ٢٤ أكتوبر ١٨١٨م)، عطفاً على رسالة الشيخ سالم آل صباح الذي أفاد بدوره بمعلومات وصلته من الشيخ ماجد آل عريعر[٤] - شيخ بني خالد في الأحساء - عند استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية قائلاً: «إنه في أول شهر ذي القعدة (الأول من سبتمبر ١٨١٨م) مشى العسكر المنصور على الدرعية، ونصب الأطواب[٥] في مكان يقال

(١) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19529 وتاريخها: (١٦ ربيع الثاني ١٢٣٣هـ/٢٢ فبراير ١٨١٨م).

(٢) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 3781 وتاريخها: (٢٩ ذو القعدة ١٢١٩هـ/الأول من مارس ١٨٠٥م).

(٣) ورد تعريف مقتضب عن الشيخ ابن رزق في وثيقة أخرى بأنه من تجار البصرة، وأنه أرسل خطاباً إلى شريكه في بغداد يذكر فيه أن الدرعية سقطت بيد قوات إبراهيم باشا. **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT. 19529

(٤) من شيوخ قبيلة بني خالد في الأحساء. وله اتصالات وخطابات مع الدولة العثمانية من خلال والي بغداد داود باشا، كما ورد ذكره في كثير من الخطابات التي أرسلها إبراهيم باشا إلى والده محمد علي باشا في مصر، ولا سيما في أثناء وضع الحصار على الدرعية وبعدها. **مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني**. مرجع سابق ص ١٦٩.

(٥) أطواب: جمع طوب، وهو المدفع.

له الزلال، وكثف مقاصير آل سعود، وركب الأطواب عليها، وهدمها. ولما اتبعهم الطوب جمع نفسه عبد الله بن سعود وجميع من حضر في الدرعية، وطلع على العسكر، وصار له معهم معركة قوية، وثم انقسم العسكر [إلى] أربعة قسم [أقسام]، وأتى الدرعية [أي قسم من العساكر] من جهة النصرية، والفرقة الثانية من مناخ الحاج، والثالثة من مصلى العيد، والرابعة من الظهرة(١). واشتد القتال بينهم، ورفع الله يده عن ابن سعود ومن معه»(٢).

وفي رسالة مماثلة من والي بغداد داود باشا إلى الباب العالي (في ١١ المحرم ١٢٣٤هـ/ ١٠ نوفمبر ١٨١٨م) بمناسبة استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية، ذكر من أحيائها حي الدغيثر(٣) وحي الكوت، مشيراً إلى أن المسافة بينهما نصف ساعة(٤). وهذا يدل على كبر مساحتها في تلك الفترة، وانتعاشها بالعمران والمساكن.

وقد نشرت صحيفة الحقائق (الصادرة في إستانبول) معلومات مقتضبة عن الدرعية، تكملة لما نشرته في العدد التاسع(٥):

«ومدينة الدرعية هي مدينة متوسطة ظريفة الموقع والمنظر، يقسمها نصفين وادي حنيفة المعروف، وبها كثير من النخيل والبساتين التي تؤتي ثمارها بغاية الجودة. وأكثر ما يعتني به أهلها تربية الخيول والجياد، ومن المواشي الأغنام، وأغلب ما فيها من ذلك، الأغنام السود وسائر المواشي.

(١) يبدو هو حي ظهرة السمحان، وهو محاط بسور منفصل عن بقية أجزاء الدرعية، ويقع على مرتفع على شكل مثلث. **مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى**. مرجع سابق ص ٣٢.

(٢) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT.19529-B

(٣) نسبة لآل دغيثر. وبمراجعة المراجع المتخصصة تبين أنه حي غصيبة، الذي أقام فيه آل دغيثر، وهم من آل يزيد من بني حنيفة، من أقدم سكان الدرعية. **مجتمع الدرعية**. مرجع سابق، ص ٤٥.

(٤) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT.19529-A

(٥) (ع ١٠، ص ٤).

وتحدها من جهة الجنوب إلى جهة الغرب أرض نجد منفصلة عن أرض اليمن وعمان بصحراء الأحقاف التي ذكرها الله تعالى، ومهلك أهلها في كتابه العزيز. أما مدن نجد فلها تجارة عظيمة متبادلة بين بعضها بعضاً ومع ما جاورها من بلاد الحجاز واليمن وهجر. وكانت تلك المدينة [أي الدرعية] عامرة مشهورة بالتجارة وطيب المناخ. وكان سكانها ينوفون عن مئة ألف، حتى ضاقت بأهلها، وغلت فيها أسعار المنازل والحوانيت إلى درجة كلية، بلغت فيها أجرة الحانوت على ما يقال إلى ريال ونصف في اليوم.

وهو أكبر دليل على ما كان فيها من زيادة العمران ورواج التجارة. وكانت المنازل فيها بهيجة المنظر، والقصور والمنازل على حافتي الوادي المذكور، ممتدة من الجانبين على صورة منتظمة، بعضها مرتفع عن بعض بدرجة مناسبة، والحوانيت من وراء البيوت كالسور.

ثم اندرست بعد هذا العمران العظيم، وأصبحت اليوم خاوية خالية، ولا يوجد فيها من السكان إلا القليل من الناس؛ وذلك منذ أن انتقلت منها إمارة نجد، وتحول عنها الأمراء إلى مدينة الرياض، وجعلوها مقر إمارتهم إلى الآن. وسنذكر إن شاء الله تعالى بيان أسباب انتقالهم إليها، وخراب الدرعية بكيفية مختصرة». أ.هـ

الخاتمة

اتضح مما سبق أن الحكومة العثمانية كانت لا تملك معلومات كافية عن اسم الدرعية، ولم يكن لديها تصور عنها. ثم بدأت تتعرف إليها بعد أن تتالت عليها الخطابات من أمراء مكة المكرمة، وبشكل خاص من أميرها غالب بن مساعد. فأصدرت الأوامر إلى ولاتها؛ لتقديم تقارير مفصلة عنها. فكان موقف والي بغداد متوافقاً مع موقف أمير مكة المكرمة في شن حملة عسكرية على الدرعية. لكنها أخذت بموقف واليي الحجاز والشام وممثل الدولة العثمانية فوق العادة في مصر، المغاير لأولئك. فعمدت إلى الضغط على أمير مكة المكرمة بضرورة إجراء مصالحة بينه وبين حاكم الدرعية الإمام عبد العزيز

ابن محمد بن سعود. لكنها لم تنجح في إقناعه بذلك، ولا سيما بعد أن ضم الحجاز إلى الدولة السعودية الأولى. فأصدرت أوامرها هذه المرة بإعداد العدة والقيام بحملة كبيرة على الدرعية. فلم تجرؤ أية ولاية عثمانية مجاورة على القيام بذلك. إلى أن تمكن محمد علي باشا من ولاية مصر، فقام بالحملة المذكورة. وكان نتيجتها تخريب الدرعية، وانتقال دورها السياسي إلى الرياض التي صارت عاصمة للدولة السعودية في دورتيها الثانية والثالثة.

الملاحق :

١ - خطاب أمير مكة المكرمة الشريف غالب بن مساعد إلى الباب العالي[١]

إلى الآغا عالي القدر[٢]

صاحب السعادة والمكرمة والمروءة مزيد الحمية عالي الأخلاق محمودي[٣] ؛

[بعد الدعاء] فإنني أعرض عليكم : أن البلدة التي تسمى الدرعية في المنطقة التي تسمى بنجد الواقعة في الجانب المتصل بشرق أراضي الحجاز، ظهر فيها المدعو [محمد بن] عبد الوهاب منذ مدة مديدة. ونتيجة لازدياد قوته وشهرته يوماً بعد يوم، وبما أن الأعمال التي يقوم بها، ليست من نوع الأعمال التي يمكن الصبر عليها، فمنذ ثلاث إلى أربع سنوات وحتى يتم جلبه، فقد أرسلنا عدة أفراد من العساكر [هكذا فهمها المترجم من النص]، وحتى يتم حفظ ووقاية القرى الواقعة بأطراف الحرمين الشريفين على النحو الممكن، فقد صرفنا - والله شاهد على ما أقول - مصروفات عظيمة. وإضافة إلى ذلك فقد قاتَلنا، وقاتل جنودنا وعساكرنا الذين عيّناهم، وقد نال من هؤلاء المسلمين أكثر من أربعين ألفاً رتبة الشهادة. وازدياد قوة الوهابي المذكور

---

(١) الأرشيف العثماني، تصنيف HAT.3855-J

(٢) يبدو أن هذا الآغا هو مدير أعمال ولاية الحجاز في إستانبول.

(٣) تاريخ هذه الوثيقة بموجب فهارس الأرشيف العثماني بإستانبول هو ١٢٠٧هـ.

يوماً بعد يوم، قد أوصله إلى درجة عالية من التفوق، مما مكنه من الاستيلاء على كافة المناطق الواقعة حتى القريبة من الطائف. وهذا مما يشهد به الكبار والصغار. وفي الوقت الذي كان الوضع على هذه الشاكلة، فإنه لم يقتنع بكل ذلك، وقد بلغ عدد القبائل التابعة له أكثر من عشرين قبيلة، وعدد أفراد كل قبيلة ما بين عشرة إلى اثني عشر ألف نسمة. حيث أكد عليها من نيته التي أظهرها في الاستيلاء على الحرمين المحترمين. وقد منع من تصدير الإبل والأغنام والسمن العربي والقمح التي كانت ترد من نجد من القديم [إلى الحرمين الشريفين]. وهذا الأمر من الخروج العظيم [على الدولة] لم يكن له سبق فيما مضى. ولذلك فإن راحة كافة أهالي الحرمين الشريفين مسلوبة، وأصبحت إقامتهم فيهما صعبة. ويبدو أن القيام بمقاومته عسير. ومنذ ظهور الوهابي المذكور وحتى اليوم، قد وقعت أحداث عجيبة. ولهذا فإنني قد أرسلت عن نواياه الفاسدة إلى جنابكم حرفياً وبشكل مفصل. والتدابير التي تتخذ في مواجهة هذه المسألة العويصة، لا يحيط بها العقل. وبناءً على قرب هذا الوهابي من بغداد، فإنه إذا صدر أمر عال إلى والي بغداد سليمان باشا، فهو مناسب. وهذا الأمر في الحقيقة لا يمكن قياسه بغيره من الأمور؛ فبالنظر إلى أنه من الأمور الإسلامية التي لابد أن يغار عليها، فلابد من إبراز الاهتمام اللازم بها أيضاً، وهو ما يرتضيه الله والنبي. والمرجو من جنابكم تقديم المساعدة اللازمة في إعادة مراسلينا إلينا..

المحب المخلص الشريف غالب بن مساعد

٢ - وثيقة حول الخلافات بين أمير مكة المكرمة وبين الإمام عبد العزيز بن محمد ابن سعود (١)

صاحب(٢) الشوكة والكرامة والمهابة والقدوة ولي نعمتي سيدي :

---

(١) **الأرشيف العثماني**، تصنيف HAT.12324

(٢) تاريخ هذه الوثيقة بموجب فهارس الأرشيف العثماني في إستانبول هو (١١ شوال ١٢١٢هـ/٢٨ مارس ١٧٩٨م).

بناءً على أن النزاع الذي نشب بين أمير مكة المكرمة الحالي الشريف غالب، وبين عبد العزيز بن [محمد بن] سعود الكائن في الأراضي النجدية، قد تحول إلى خصومة ومقاتلة، فقد وقعت بينهما الحرب والقتال. وقد أبدينا إليه النصائح اللازمة في الخطاب الجوابي الذي بعثنا إليه رداً على الخطابات التي كان يرسلها في كل سنة مع الحجاج. وذكرنا له أن إراقة الدماء في الأراضي الحجازية المقدسة غير جائز، ولا سيما أن الشيخ المذكور [أي عبد العزيز] من البادية، ولا يليق بإمارتكم القيام بمخاصمته. والأسباب الكامنة وراء تلك الخصومة، منع الحجاج القادمين من لدن الشيخ المذكور من الدخول إلى البلدة المقدسة، والتعرض لأفراد أسرته وغير ذلك من الأمور التي ذكر أنها وقعت من خدامه. فبينا له وبأسلوب لطيف أنه كان يجب فصل هؤلاء من العمل. وقد أرسلنا بعض الخطابات عن هذا الموضوع إلى والي جدة يوسف باشا المكلف بالإقامة في المدينة المنورة، ذكرنا له بما كتبناه من نصائح للشريف، وطلبنا منه استخدام أسلوب مناسب في توجيه النصح إليه وإلى الشيخ المذكور من تنبيهات لازمة، والسعي لإصلاح ذات البين فيما بينهما، وتوفير الأسباب الكفيلة بذلك. كما كتبنا كذلك في السنة الماضية وفي هذه السنة إلى والي الشام الحالي وأمير الحج عبد الله باشا، عن هذا الأمر، وطلبنا منه القيام بإجراء مصالحة بين الشريف والشيخ المذكور بناءً على ما يظهر له دراسة مفصلة في الموضوع، مع اتخاذ الأسباب اللازمة في حماية الحرمين الشريفين والأراضي المباركة. يضاف إلى ذلك وكما تم تصويبه في المذاكرة التي جرت فيه في العام الماضي، فقد تم إعداد خطاب عربي إلى الشيخ المذكور، رداً على الخطاب الذي بعث به إلى المقام السلطاني، بعد الحصول على إذن من جنابكم. وقد ذكرنا في مضمونه أنه بناءً على علو نسب الشريف المذكور، ونظراً لمباهاته بإمارة مكة المكرمة في الوقت الراهن، فلابد من مراعاته وتقديم الاحترام إليه. مع تذكيره بضرورة رد الأعراب المتعلقين بالشريف والموجودين تحت أيديكم، وعقد السلم على وجه حسن بينكما. مع استخدام عبارات

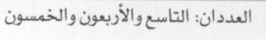
لائقة في ذلك. ولم نخل لحظة من اتباع ذلك الأسلوب الحكيم. وقد سبق أن ورد بعض الخطابات من يوسف باشا المذكور، واتضح من فحواها معلومات عن أوضاع الشريف والشيخ المذكور [أي عبد العزيز بن محمد]، ومدى درجة الخصومة بينهما، وإرسال خطاباتنا إليهما، والعمل على إصلاح ذات البين فيما بينهما، إلا أنه لم يوفق في ذلك. وحول الرد الذي قابله به الشيخ المذكور في مسألة إعادة العربان، وكذلك انفعال [انزعاج] الشريف ليوسف باشا، والخطاب الذي بعث إليه الشيخ المذكور وإلى إستانبول، وأنه تم إرسال مندوبه الذي كلفه بإيصال الخطاب، وأن الموضوعات المذكورة كانت مكتوبة في الخطابات التي بعثها يوسف باشا. كما أن التقرير الذي أدلى به مندوب الشيخ المذكور، قد تضمن القتال الذي نشب بين الشريف والشيخ، وأن الأقوال التي أُدلِيَت بها عن الشيخ كانت عبارة عن كذب وافتراء، وأنه بناءً على ذلك لم يمكن إصلاح ما بينهما بعد ذلك، وأن الشريف لم يصغ إلى المراسلات التي أجريت معه، وأنه كان لابد من التصدي للتعديات التي قام بها الشريف، وأن ذلك كان أسهل تدبير يمكن اتخاذه في الموضوع، وبما أن ذلك التدبير كان من خفايا الأمور كما لا يخفى، فإنه إذا جرى الاستفسار عن الموضوع في النهاية، فإنني سأقوم بتوضيح الأمور التفصيلية فيه شفاهة وبشكل سري، وأن شيخ المنتفق قد قدم بالحملة على الشيخ المذكور من طرف والي بغداد، الذي انسحب من التدخل في هذا الموضوع بعد ذلك. وقد كتبنا بأسلوب حكيم إلى والي بغداد بألا يتعرض للشيخ المذكور ولا يتدخل في شؤونه ولا في أراضيه بعدّه هو وأفراد أسرته من المنقادين للسلطان، [هنا يوجد سطر أقحم في هذا الخطاب المعروض على السلطان بخط أحمر لم يستطع الباحث قراءته]. إلا أن يوسف باشا - ومع الأسف الشديد - لم يفهم الحساسية الموجودة بين الطرفين، فقام بإرسال مندوب الشيخ المذكور إلى إستانبول. إذ إن ذلك سيؤدي إلى انزعاج الشريف كثيراً، ويزيد من المشكلة، مما يجب اتخاذ الأسباب الكفيلة بحلها، على كل حال. وقد ورد رجل من الشريف إلى إستانبول في أواخر رمضان، وبحوزته

بعض الخطابات من الشريف. ذكر في مضمونها أن الشريف اضطر إلى إعداد العساكر حتى الآن بغية الدفاع عن نفسه، متحدثاً فيها عن الأوضاع الأخرى على التفصيل، وأنه بناءً على التماسه السابق فإن والي بغداد قد أعد العساكر من العراق وهو [أي الشريف] قد جهز العساكر في مكة المكرمة؛ بغية القيام بحملة على الشيخ المذكور [عبد العزيز] في المحرم من العام الثالث عشر [بعد المائتين والألف الهجري]، وإصدار الأمر الشريف الموشح عاليه بالخط الهمايوني إليه وإلى الوالي المذكور [أي والي بغداد]، طالباً تقديم المساعدات اللازمة الممكنة إليه. وقد تم تقديم خلاصة الخطابات المذكورة ليوسف باشا والشريف المشار إليه، وترجمة خطاب الشيخ المذكور، وتقديمها إلى جنابكم بغية الاطلاع عليها. ومن قراءتها سوف يحيط جنابكم علماً بتفصيلات الموضوع. ونظراً لكون هذا الموضوع من الموضوعات التي تحتاج إلى إجراء المشاورات اللازمة فيه، فإنه سوف يتم إجراء المناقشة فيه في هذه الأيام من خلال أهل الخبرة فيه، ويتم عرض ما يتقرر في ضوئها على جنابكم. وكما ورد في التقرير المقدم من مندوب الشيخ المذكور، فإنه لدى سؤاله عن كيفية دفع [أي توقيف] تعديات الشريف فإن ما يذكره لدينا من جواب شفهي في هذا الصدد لا يخلو من محذورات، وإن لم يتم توجيه السؤال إليه في هذا الصدد [هو الأصوب]؛ حتى لا يقال بعد العودة إنني عرضت عليهم التدبير على هذا النحو، وهم [أي الباب العالي] لم يصغوا إلينا، فليست لهم مساعدة لك [أي يا عبد العزيز]. إذ إن ذلك سيؤدي إلى سرد أقوال يزيد من تنفيره، كما هو محتمل. وهذا الأمر سوف يتم وضعه نصب الأعين أثناء إجراء مناقشة الموضوع، ويجري العمل فيه بأسلوب حكيم ودقيق. وسوف يتم النظر في الموضوعات الأخرى الواردة في خطابي الشريف ووالي جدة شريف باشا، بموجب مقتضياتها. وإذا نما ذلك إلى علمكم فإن الأمر والفرمان لصاحب الشوكة والكرامة والمهابة والقدرة ولي نعمتي سيدي جناب سلطاني.

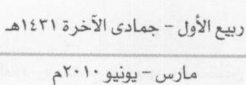
شوكتلو كرامتلو مرحمتلو قدرتلو ولي نعمتم افندم

شوكتلو كرامتلو مرحمتلو قدرتلو ولي نعمتم افندم پادشاهم حضرتلريكز











355-7

[illegible]

على الاكثر كما يؤيده ما يشاع من امر عزم الحكومة الانكليزية على استبقاء نحو من سبعة او ثمانية الاف نفر على محافظة الحدود وما يليها من جهة اسوان ووادى حلفا الى حد القاهره ٠

اثبتت بعض الجرائد من اخبار الحكومة المصرية ان الخديوية الجليلة قد وردلها بطريق التلغراف تبريك خصوصى من طرف المابين الهمايونى العالى بتاريخ ٢٤ رمضان لمناسبة تصادف ذلك اليوم الجليل لتعين الجناب الخديوى الافخم من هذا الطرف لتلك الخطة وان ذلك قد وقع من نفوس الجميع موقع الممنونية والتعظيم لما هو موذن به من قوة الارتباط بين تلك الحكومة ومقام السلطنة السنية المقدسة ٠

ويقال ان الحكومة الانكليزية قد قررت سحب طائفة من عساكرها الموجودين بجهات الصعيد فى مصر لاستبدالهم بغيرهم ممن لا تتجاوز سنهم العشرين سنة لمناسبة الاسقام التى ظهرت فيهم واوقعت بهم العطب من شدة الحرارة التى طرات على ذلك القطر فى هذه الايام ٠

وفى بعض الروايات ان عدة من مات منهم بذلك السبب لحد الأن هى قريب من ثلاثمائة نفر وان الأمر لازال فى ازدياد عليهم يوما بعد يوم ٠

ومن غريبة الطريق ان الجناب حضرة خديو مصر الافخم صاحبى النجابه البرنس عباس بك والبرنس محمد على بك قد توجها الى لوندره فى هذه الايام تشابلا مع حضرة ولى عهد الملكة واللورد (روزبرى) ناظر الخارجية بواسطة سفير الدولة العلية بذلك الطرف ٠

(حوادث اجنبيه)

جاء من اخبار فاس ان رجلا من رعيتها فى طنجا هجم منذ ايام وبيده سكينة على سفير دولة ايطاليا بذلك الطرف حتى الجاه الى ان يعتصم ببعض الاسباب ولكنه لم يمسه بسوء بل القت الحكومة القبض فى الحال واجرت عليه ترضاه الناديبات اللازمة واوعزت بذلك الى بعض الجرائد الانكليزية لاجل اثبات الكيفية ٠

ومن اخبار البلغار ان بعض ارباب الافكار يعتقدون ان الحدة التى جعلت تستعملها الان حكومة الروسية على ضد افكار البرنس فلكانيد انما هى بسبب ميله الى بعض طوائف البورتستان الذين هم بذلك الطرف لكونهم هم من المنفورين عند عموم الروسيين حتى عند الامبراطور بنفسه ويستدل عليه بما حصل من تلك الحكومة قبل هذا من ارغام بلاد الهستان على قبول مذهب الاورتودقس وترك مذهبهم البورتستانى والى غير ذلك ٠

ومن اخبار فرانسا ان كثيرا من رجال حكومتها وبعض سفرائها قد قدموا استعفاءهم على عقب ظهور مسالة ذى البرنسات التى سبقت الاشارة الى ذكرها فى غير محل من اعداد جريدتنا السالفة وغيرها من الجرائد السائرة حتى قبل ان بعض الظنون يختلج بها كون هذه النازلة لا يبعدان تكون سببا التبدل وانقلاب عظيم فى داخلية تلك الجمهورية

ومن بعض الصحف الاجنبية ما يفيد التنديد على ما اجاب به مجلس مبعوثان البلغار قبل هذا على نطق البرنس الذى القاه عليهم لدى افتتاح الجلسة من ان حكومة البلغار هى غريقة احسان دولة الروسية والتهكم على تلك العبارة بانها لم يكن مقصودا بها الا تسكين هيجان افكار الامبراطور ومن هو على مسلكه من جهة تحاملهم على حكومة البلغار وفيه نظر لا يخفى ٠

(انكلترة والروسيه)

لازالت الجرائد خائضة منذ ايام فى شأن مسألة (باطوم) التى عمدت دولة الروسية الى وضع الجمارك على السفائن والتجارات التى ترد اليها من الجهات السائرة بعد ان كانت مستثناة دون غيرها على مقتضى احد شرائط معاهدة برلين الذى كان قد انعقد الاتفاق عليه من طرف الدول بطلب والد ايمبراطور الروسيه الحالى بدعوى ان ذلك الاستثناء هو مضر بمصلحة الحكومة المذكورة ومصالح تجارها بسبب ما يترتب عليه من كثرة دخول الواردات الاجنبية الى تلك الجهة واضرارها بالمحصولات والتجارات المحلية والى غير ذلك ٠

واكثر ما تخوض فيه الجرائد المذكورة هو كون وضع الجمارك على واردات ذلك الطرف بهذه الصفة مخلا بشرائط المعهدة البرلينية وكون ذلك هو مما يوجب تداخل الكثير من الدول وبالخصوص دولة انكلترا حتى صرحت بعضها بان دولة الروسية لم ترد بما اظهرته فى هذه المسألة الا مضاددة افكار حكومة انكلترا خاصة لما يعنيها منها بطريق الاولوية الا ان جريدة (استاندارد) تقول ان حكومة انكلترا مع الاهتمام بهذه المسألة الى درجة حسب (البوريتيستو) كما يشير اليه البعض فى بعض الروايات ٠

(نجد)

(تابع ما قبله بالعدد التاسع)

ومدينة الدرعية هى مدينة متوسطة ظريفة الموقع والمنظر يقسمها نصفين وادى حنيفه المعروف وبها كثير من النخيل والبساتين التى تؤتى ثمارها بغاية الجودة واكثر ما يعتنى به اهلها تربية الخيول الجياد ومن المواشى الاغنام واغلب ما فيها من ذلك الغنم السود وسائر المواشى

وتحادها من جهة الجنوب الى جهة الغرب ارض نجد منفصلة عن ارض اليمن وعمان بصحرا الاحقاف التى ذكرها الله تعالى واهلك اهلها فى كتابه العزيز اما مدن نجد فلها تجارة عظيمة متبادلة بين بعضها بعضا ومع ما جاورها من بلاد الحجاز واليمن وهجر وكانت تلك المدينة عامرة مشهورة بالتجارة وطيب المناخ وكان سكانها يتوفون من مائة الف حتى ضاقت باهلها وغلت فيها اسعار المنازل والحوانيت الى درجة كلية بلغت فيها اجرة الحانوت على ما يقال الى ريال ونصف فى اليوم

وهو اكبر دليل على ما كان فيها من زيادة العمران ورواج التجارة وكانت المنازل فيها بهجة المنظر والقصور والمنازل على حافتى الوادى المذكور ممتدة من الجانبين على صورة منتظمة بعضها مرتفع عن بعض بدرجة متناسبة والحوانيت من وراء البيوت كالسور

ثم اندرست بعد هذا العمران العظيم واصبحت اليوم خاوية خالية لا يوجد فيها من السكان الا القليل من الناس وذلك منذ انتقلت منها الامارة (اى امارة نجد) وتحول عنها الامراء الى مدينة الرياض وجعلوها مقر امارتهم الى الان وسنذكر ان شاء الله تعالى بيان اسباب انتقالهم اليها وخراب الدرعية بكيفية مختصره

(والبقية تأتى)

(دار الطباعة العامره) (ابو النصر يحيى السلاوى)